العتبات النصيّة و موجِّهات القراءة في كتاب الأمثال المولَّدة لأبي بكر الخوارزمي (ت٣٨٣هـ)

أ.م.د يحيى حسن خضير
جامعة ذي قار / كلية الآداب / العراق
yahyahassan@utq.edu.iq

الملخص:

نهضت هذه الدراسة بمهمة كشف العتبات النصيّة، و تحليلها في خطاب الأمثال المولّدة التي جمعها أبو بكر الخوارزمي بدقة وعناية، بوصفها إحدى مكونات الخطاب اللغوي الموازي في هذا المتن الأدبي التراثي ، كما أنها حرصت على بيان الأدوار السياقية لهذه المكونات في توجيهها للقراءة و التلقي، حيث اتخذت شكل نصيّات لاحقة ومواكبة لنصوص الأمثال و حركية الفهم الحقيقي لسياقات مضربها ومقامات التمثّل بها، وذلك لتجنيب المتلقي عثرات استحضارها ، الأمر الذي يعيق تأدية وظيفتها التداولية والإقناعية، وهنا تتجلى الغاية المثلى للعتبات النصية التي رافقت الأمثال المولّدة لتضمن توجيه القارئ نحو الفهم الأنجع لمقاصد تلك النصوص الأدبية، وتنأى به عن ارتكاب الخطأ البراغماتي في تفسير مضمراتها النصية، ولذلك تنوعت هذه العتبات، وتباينت من حيث مستويات التكثيف البلاغي التي انطوت عليها تلك الأمثال، وهي سمة أسلوبية لصيقة و ملازمة لهذا الجنس الأدبي منذ اللحظة الشفاهية الأولى لحدث انبثاقه التاريخي.

الكلمات المفتاحية : (العتبات النصيّة ، موجّهات القراءة ، الأمثال المولّدة ، أبو بكر الخوارزمي).

Textual thresholds and reading guidelines in the Book of Generated Proverbs by Abu Bakr Al-Khwarizmi (d. 383 AH)

Dr. Yahya Hassan Khudair
Dhi Qar University / College of Arts / Iraq
yahyahassan@utq.edu.iq

Abstract:

This study undertook the task of revealing the textual thresholds and analyzing them in the discourse of generative proverbs collected with precision and care by Abu Bakr al-Khwarizmi, as one of the components of the parallel linguistic discourse in this heritage literary body. It was also keen to clarify the contextual roles of these components in guiding reading and reception, as It took the form of subsequent texts that keep pace

with the texts of proverbs and the movement of true understanding of their contexts and the positions of their representation, in order to spare the recipient the pitfalls of recalling them, which hinders the performance of their deliberative and persuasive function. Here the optimal purpose of the textual thresholds that accompanied the generated proverbs becomes clear, to ensure that the reader is directed towards the most effective understanding of the purposes of those texts. Literary literature, and refrains from committing a pragmatic error in interpreting its textual contents. Therefore, these thresholds varied, and varied in terms of the levels of rhetorical condensation that these proverbs contained, which is a close stylistic feature that has been inherent to this literary genre since the first oral moment of its historical emergence.

Keywords: (textual thresholds, reading guidelines, generative proverbs, Abu Bakr Al-Khwarizmi).

مقدمة:

يزخر تراثنا الأدبي العربي بطائفة كبيرة و واسعة من كتب الاختيارات الأدبية و المجامع الشعرية ، التي يتجلى فيها دأب المؤلِف على تخليد ذاته و تمييز هويته و إثبات رتبته العلمية من خلال ما يودعه في تلك التصنيفات من معارف غزيرة و علم جم ، ومن بين أولئك العلماء الذين ثابروا و اجتهدوا في جمع الأمثال و تصنيفها و تبويبها أبو بكر الخوارزمي (ت٣٨٣هـ) ، ولا سيما في كتابه الأمثال المولدة الذي قيل عن أهميته أنه : ((أول كتاب انعقد برمته على أمثال المولدين لم يسبقه إليه أحد ، إذ أن جميع الكتب التي تناولت أمثال المولدين متأخرة عنه . أما الكتب التي سبقته فهي في الأمثال العربية الفصحى))[١] ، و لذلك عَنَّ لهذه الدراسة أن تنهل من أهمية هذا الشأن و تأخذ نصيبها من مكانته ، وأن تتخذ منه مادة للمقاربة البحثية متلمسة طريقها إليه من خلال منهجية تحليلية لظاهرة العتبات النصية و المصاحبات اللغوية التي التحمت بنصوص الأمثال حتى باتت تشكل خطابا جماليا موازيا لبلاغة التكثيف و الإيجاز فيها ، وقد استهلت الدراسة جهدها بتمهيد قدم إجالة تعريفية حول مصطلح الأمثال بوصفها جنسا أدبيا أثيرا في تراثنا الأدبي ، سبقتها ترجمة مفصلة لأبي بكر الخوارزمي ، و إفاضة في سيرته الذاتية ، بعدها نفذت الدراسة إلى ميدانها الإجرائي عبر

مدخل نظري قدم بسطا معرفيا و نقديا عن مصطلح العتبات النصية و دورها المحوري في توجيه القراءة الذي اصطبغ بالتباين على وفق الوظائف السياقية لكل عتبة من العتبات النصية التي غطى تنوعها مساحة واسعة من تعليقات أبي بكر الخوارزمي على نصوص الأمثال المولدة . ثم اختمت الدراسة سعيها هذا بخاتمة مفصلة للنتائج و المضامين . و إن كان من تتمة لهذا الجهد فإن لازمة الشكر و الحمد لله سبحانه وتعالى على عونه وتوفيقه هي خير ما يُختم به ، منه جلّ شأنه الصواب و الاستقامة و من أنفسنا الخطأ و الخطل ، و الحمد لله ربّ العالمين .

تمهيدٌ في المؤلِّف و المتن

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي ، ولد سنة ٣٢٣هـ ، لأسرة من بلاد فارس ، وفي تحديد مكان ولادته وجهتان ، تذهب إحداهما إلى أنه ولد في طبرستان و تحديدا في مدينة آمل ، و يدعم ذلك ما ذكره هو في شعره ، حيث يقول : **بآمل مولدي وبنو جريرٍ فأخوالي ويحكي المرءُ خاله** .

أما الوجهة الأخرى فهي مستقاة من أدبه أيضا ، و يذكر فيها أن ولادته في خوارزم ، ويميل محقق كتابه الأمثال المولدة إلى اعتناق و تقبل حديثه عن نفسه بشأن ولادته في خوارزم ، و أنها مكان نشأته وتدرجه، ويذهب إلى أن الثعالبي من معاصريه المشهورين ، بل هو أحد تلاميذه الذين منه سمعوا وعنه أخذوا، وعليه قرأوا . كان الخوارزمي من أسرة ميسورة الحال كفلت له قدرا من التعليم والمعرفة ما مكنه من شق طريقه إلى العراق ، الذي يمّمه قاصدا الاستزادة ، فأقام ببغداد ، وتتلمذ فيها على الكثيرين من أفذاذ علماء اللغة والنحو، ثم أرتحل ثانية إلى بلاد الشام ، وقيل أنه التقى هناك بأبي الطيب المتنبي ، و بسيف الدولة الحمداني، ونهل من علم من كانوا روادا لمجلس سيف الدولة كابن خالويه وسواه من الشعراء المشهورين ، وقد أتاح له هذا الترحل مخالطة المغنين والشطار والعيارين و السابلة ، فأخذ من أفواههم مادة كتابه الأمثال المولّدة ، ثم أنه بعد ذلك قد غادر بلاد الشام قاصدا بلاد فارس ، ومتنقلا بين بخارى ونيسابور ثم سجستان ثم نيسابور مرة أخرى متصلا خلال ذلك بالعديد من الوزراء و رجال الدولة البويهية، وكانت له خلال مدة تنقله هذه محطات شهدتها حياته الشخصية ، من أبرزها مناظرته المشهورة مع بديع الزمان الهمذاني ، وهي أبرز محطة من محطات حياته الأدبية ، قبل أن يلبي نداء ربه في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة من الهجرة في نيسابور .[٢]

المتن:

أما المتن ، وهو كتابه الأمثال المولدة ، فإنه لا يقل رتبة عن كتب الأمثال العربية الأخرى ، و لمعرفة أهمية وقيمة هذا النوع النثري –أي الأمثال– لابد من عرض نظري لمعنى لفظة (مثل) ، حيث يدل معناها اللغوي على التسوية و المشابهة ، فمِثْلُهُ و مَثَلُهُ و مَثيلُهُ تعني شَبَهَهُ و شَبَهُهُ و شَبيهُهُ ، والمثل المضروب مأخوذ من هذا ، ومثل الشيء صفته [٣] ، و ثمة إجماع على الربط بين الشبه و التماثل والمثيل و النظير ، حيث يمكن إرجاع كل الأبنية التي أخذت من الأصل و المعنى ذاتيهما[٤]، و مثل هذا التماهي المعنوي نجده عند عبد القاهر الجرجاني حيث عمد إلى توحيد لفظتي المثل و التمثيل في سياق تلازم منطقي أوجزه بقوله : ((إن كل ما لا يصلح أن يسمى تمثيلا فلفظ المثل لا يستعمل فيه أيضا))[٥]، كما أنه تنبّه مبكرا إلى التأثير النفسي للتمثّل و التمثيل، حيث قال : ((و اعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصاره في معرضه ، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها، وشبّ ، من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس))[٦]. أما المعنى الاصطلاحي للمثل فهو ((ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص و مقومات تجعله جنسا من الأجناس الأدبية ... و هو قول موجز سائر ، صائب المعنى، تُشبه به حالة حادثة بحالة سالفة))[٧]. و مما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاقتصاد الاصطلاحي في تعريف المثل لا يعيق تعدد آراء العلماء و الأدباء قديما بشأن تحديد معنى المثل اصطلاحا ، و حصر خصائصه و مقوماته ، نظرا لتنوع مذاهبهم المعرفية و تباين مشاربهم الثقافية ، حيث تضاعفت الآراء التي ذكرها العلماء والأدباء في حد المثل اصطلاحا ، و تباينت وجهات نظرهم بحسب تباين ثقافاتهم و تنوع ميولهم ، لكن هذه الآراء سلكت احد اتجاهين الاتجاه التفسيري الذي يعتمد مورد المثل و مضربه و غرابته و سيرورته و الاتجاه البياني الذي يعتمد الجوانب البلاغية في المثل من تشبيه و كناية و استعارة و غيرها[٨] ، فالمثل في اصطلاح ابن السكيت (ت ٢٤٣هـ) هو ((لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذي يعمل عليه غيره))[٩] ، و الأمثال بمضمونها تنقل الواقع إلى حقيقة مطلقة ، وقد أشار المبرد (ت٢٨٥هـ) إلى هذا المعنى فقال: ((المثل مأخوذ من المثال وهو قول موجز سائر يشبّه به حال الثاني بالأول و الأصل فيه التشبيه ... فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول))[١٠] ، والى مثل هذا

المعنى ذهب أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ) من حيث اقتضاء الترادف أو الملازمة الذي تتضمنه المشاكلة و المشابهة و المساواة و المماثلة [١١].

أما مبلغ العناية بالأمثال ، فقد بلغ حد عدها ظاهرة ثقافية و اجتماعية تؤصل لأنماط السلوك الانساني المتباينة ، و هي في الوقت نفسه ظاهرة أدبية تبرهن على عراقة هذا النوع الأدبي النثري الذي يجمع شتات الأمم كافة مهما تباينت مستويات ثقافتها ، فيصور عاداتها و تقاليدها و نظرتها إلى الحياة من جوانبها المختلفة ، فالأمثال مستودع خصيب لمن يريد فهم الشخصية و طريقتها في التفكير . وتأخذ الأمثال عند العرب طابعا خاصا كونها تجري على ألسنتهم مجرى الشعر ، لتكون عظات بالغة من ثمار الاختبار الطويل و العقل الراجح [١٢] ، ولا يكاد يخلو مصدر من مصادر التراث العربي من الأمثال العربية القديمة ككتب التفسير و المعاجم اللغوية و البلاغية و كتب النحو و الأدب ، فضلا عن الكتب المختصة بالأمثال[١٣].

العتبات النصيّة مدخلاً منهجيّاً للدراسة

ورد في لسان العرب أن العتبة هي أسكفة الباب التي توطأ ، وقيل العتبة العليا ، وهي الخشبة التي فوق الأعلى ، الحاجب ، و الأسكفة السفلى و العضادتان ، والجمع عتب والعتبات والعتب الدرج كمرقيتها ، و اذا كانت من الخشب ، و كل مرقاة منها عتبة . ينظر : لسان العرب مادة عتب و جاء في كتاب العين للخليل بن احمد الفراهيدي ان العتبة أسكفة الباب وجعلها إبراهيم عليه السلام ، كناية عن امرأة إسماعيل اذ أمره بإبدال عتبته ، و عتبات الدرجة وما يشبهها من عتبات الجبال و أشراف الأرض ، و كل مرقاة من الدرج عتبة، و الجمع هو العُتب ، ونقول : عتب لنا عتبة اي اتخذ عتبات أي مرقيات .[١٤]

أما المعنى الاصطلاحي للعتبات النصية ، فإنه يتجلى في أن مدار البحث حول مفهوم الشعرية عند جيرار جينيت الذي يعد رائد التأسيس النقدي لنظرية العتبات النصية أو النصوص المصاحبة أو النص الموازي أو التوازي النصي أو النص المحيط التأليفي ، كما ذهبت إلى ذلك الترجمات المتعددة لمصطلح العتبات النصية[١٥] ، أنه لا ينحصر في المتن و حسب ، بل يتعداه ليكون فوق النص و تحته و حوله ، و هذا ما تقوم به العتبات النصية بوصفها تمثل خطابا موازيا للنص أو المتن ، ومن هنا أضحت العتبات النصية جزءا رئيسا من العملية البنائية للتشكيل النصي ، حيث تتعالق العتبات

النصية أو النصوص المصاحبة مع النص ، و تخلق معه حوارا و تفاعلا بشكل ظاهر أو خفي ، معلن أو غير معلن ، لأن العلاقة القائمة بين العتبات و النصوص التي تنتمي اليها هي على الأغلب علاقات تفاعلية ، من غير أن ينفي ذلك وجود استقلالية نسبية لكل جانب . ولقد تم التواضع على أن العتبات النصية هي مساعدات نصية على حد وصف جيرار جينيت ، تصاحب النص و تسهّل الولوج إليه ، و تحضّ على قراءته ، كما أنها تؤدي دور الوسيط بين القارئ و النص لتسهم في تفعيل دائرة التلقي الإيجابي له[١٦] .

و يعد جيرار جينيت كما ذُكر آنفا رائدا لهذا الحقل المعرفي ، وذلك من خلال كتابه عتبات الذي كان بحق تتمة لجهود سابقة مثلها كتاب المقدمات لبورخيس و جاك دريدا في كتابه التشتيت و فيليب لوكان في كتابه الميثاق السير ذاتي و هنري ميترون في مقالته حول العنونة و كتابه خطاب الرواية عندما تكلم عن التخوم المحيطة بالرواية التي تدفعنا إلى قراءة الرواية كاسم الكاتب و الناشر و صفحة العنوان و الصفحة الأخيرة للغلاف و غيرها ، كما أنهم تبيّنوا محدوديةً في جهد استظهار نظرية خاصة بدراسة المقدمات ، وإيلاء ماهو خارج النص من حواشي أو أهداب ، فضلا عن رصد مظاهر التلاعب الغامض بالاستهلال[١٧]. وقد حفل ذلك باكتراث النقاد لأنهم أبصروا أن معظم النصوص لا تقدم عارية أو مجردة ، لذا فإن هذه العتبات اكتسبت شرعية الدراسة تنظيرا و تطبيقا ، واستحقت الاهتمام في الدرس النقدي الحديث بوصفها نقطة ارتكاز مكثفة يستند إليها الناقد للغوص في متون النص[١٨]. إذن العتبات النصية هي مجموع نصوص تحيط بالنص من جميع جوانبه مثل المقدمة و الاستهلال والتصدير و الهوامش و التعليقات و الملاحظات[١٩] . ولقد أبانت الدراسة عن تخوم نصية ومحددات من التعليقات والإيضاحات التي التأمت بنصوص الأمثال حد الاندماج في نسيجها الموضوعي و الفني ، وهي كالآتي :

أولاً : عتبات المقدمة

المقدمة من كل شيء أوله ، و هي أيضا ما استقبلك من الجبهة ، و المقدمة هي الناصية . لسان العرب مادة قدم ، و جاء في المعجم الوسيط ، أن المقدمة من الجيش هي طائفة منه تسير أمامه ، و يقال مقدمة الكتاب و أيضا مقدمة الكلام[٢٠] ، و بهذا المفهوم تعد المقدمة عماد كل معمار تأليفي و إبداعي ، كما أن حقلها المعرفي حوى كل معادل معنوي لها من تمهيد و توطئة و مدخل و ديباجة و

استهلال ، الأمر الذي يدل على أن الملازمة العضوية التي أحرزتها المقدمة لجسد النص تثبت أن واجهته الجمالية و الجوهرية لا تكتمل إلا بحضورها الفاعل ، و لهذا فإن المقدمة تعد علامة لسانية تتموضع عن قصد من المؤلف في صدارة متون نصوصه ، حيث يأتي بها لتأدية دورين جليلين ، أولهما يمكن أن نسمه بدور التجنيس و التعيين ، حين تنهض المقدمة بمهمة تحديد هوية النصوص و تبيين صميم محتواها بالقياس إلى الأنواع الأدبية الأخرى ، أما الثاني فوظيفته ترغيبية دأبها تحفيز المتلقي و اجتذابه و حثه على الاندماج بكل ما أوتي من طاقات القراءة و رغبة التلقي و فضول التفاعل مع فحوى النصوص و تسلسلها الأفقي ، فالمقدمات بصفة عامة تدخل في نطاق أنواع النصوص الافتتاحية ذاتية كانت أو غيرية أو تهدف إلى إنتاج خطاب على مشارف النص الذي تسبقه ، فهي بالتالي مقدمات أصلية تخبر القارئ حول أصل الأثر الأدبي و الظروف التي كُتب فيها [٢١]. و مما تجدر الإشارة إليه أن المقدمة تغتني بوصفها عتبة تصديرية بسلطة توجيهية للقراءة ترشد المتلقي و توعز إليه بتعليقات و حواش ترهن معرفته بشأن النص بالشرح المسبق الذي يتضمن حصيلة الخبرة التي يمتلكها المؤلف حوله[٢٢] . كما أنها للمؤلف و النص بمثابة وعاء معرفي و ايديولوجي يلهج برؤية المؤلف و موقفه مما يكتب ، انها مرآة المؤلف ذاته كما يصفها بعض النقاد[٢٣] ، وبدونها يظل العمل الأدبي مفتقرا إلى واجهة تظهر مزاياه و جماليته الشكلية و المضمونية ، التي تساعد على قراءة النص قراءة فاعلية من خلال الفهم و الادراك لكافة بنياته و وحداته الداخلية و الخارجية ، واستكناه مقاصده وأغراضه [٢٤]، وتتألف عتبة مقدمة كتاب الأمثال من مجموعة من العتبات النصية الثاوية فيها ، ذات أطوار متنوعة في توجيهها للقراءة ، تآزرت وظائفها التي أُسندت إليها لتحرز مجتمعة أفضل مراتب القبول للكتاب، وهي كالآتي :

١- عتبة التعريف بالأنا و الآخر

تتميز مقدمة كتاب الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي بأنها كُتبت في سياق فضاء نقدي يستند في منطلقاته و تلقيه للنص إلى فرضية التعريف بالنفس بالاستناد إلى تقديم صورة عن الذات عبر مآلات الثنائيات الضدية ، فضلا عن منطق الموازنات و المفاضلات بين الأضداد التي ظلت ملازمة للنقد على مدى أزمنته و أمكنته ، و ((صورة الذات تعني نظرة الفرد أو الجماعة أو الشعب لذاته ، أي ذلك الوصف الشامل الذي يمكن أن يقدمه الفرد عن ذاته ، وقد تكون هذه الصورة واقعية أو مثالية ،

ويمكن النظر إلى صورة الذات من منظور داخلي ، أي الطريقة التي نعرض بها أنفسنا على الآخرين في الخارج))[٢٥]. لقد ابتدأ أبو بكر الخوارزمي مقدمته بالقول : ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين . اللهم إنا نسألك قولا بالحق ، وعملا به ، وطلبا للرشد و انتهاء اليه ، و نعوذ بك من أن يشغلنا الهزل عن الجد ، و أن يستحوذ علينا الباطل دون الحق ، و أن نهرب إلى دعة الجهل و حلاوته عن تكلف العلم و مرارته ، وان يغرّنا ثناء الناس علينا عن أنفسنا ، و يغلبنا حُسن ظنونهم على يقيننا ، و أن نقنع من العلم بالتظرّف ، ونرضى من الأدب بالاسم ، و من الفهم بالرسم ، فقد كثر المدعون ، وقلّ المتحققون ، و تراضى الناس بأن يقرّ بعضهم لبعض بما هم عارون منه ، و قنعوا بأن يتسمّوا بما هم خالون منه ، فصار العلم بالمجادلة ، وأصبح الأدب بالشغب و المصايحة ، وجلس في كل زاوية عالم لم يعلم ، و مفهِّم لم يفهم ، يتسلل من العلم لواذًا ، ويداخل أهل الحقائق بالمخاريق ، ويسبح في أودية الدعوى بكف الباطل ، فإن طولب ببرهان تترّس بالعربدة ، وإن سُئل عن شيء تأخر وتشاغل بالمعارضة . وما أخوفني أن أذم الزمان وأنا آلته ، وأقع في المدلّسين وأنا منهم، وأشكو الزمان وأنا هَنَتُه ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.))[٢٦] . يمثل هذا الاستهلال المقطع الأول من مقدمة أبي بكر الخوارزمي ، حيث تليه مقاطع أخرى تؤلف مجتمعة هرمية الخطاب العتباتي لديه ، فالمقدمة طويلة و مفصلة و تخضع لتراتبية بنائية و موضوعية اصطبغت بقصدية صريحة ، فبعد البسملة و التحميد و الصلاة على النبي وآله و صحبه ، وهي تدل على منهجية التخاطب و تداولية الصوغ اللغوي للعصر الأدبي الذي كُتبت فيه ، و لا سيما التزيين المعنوي و الذرائعي لمقطع الدعاء الذي يتلو البسملة والتحميد و الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، حيث حرص أبو بكر الخوارزمي على تمرير هذه العتبة الدعائية الضمنية في مقدمته لتؤدي وظيفة خطابٍ إقناعيٍ أخلاقي مكثفٍ يسع سمات شخصيته و سجايا هيئته ، فيخلق به انطباعا حسنا لدى المتلقي عن نفسه ، وذلك عبر صورة ذاتية يقدمها عن نفسه حينما يغدق عليها من أنيق الصفات و حميدها دون أن يعرض لذلك بشكل صريح ، فصورة الذات التي يحملها الخوارزمي عن نفسه ((تتعزز بتهييء السامع انفعاليا لضمان انقياده و توريطه ، وذلك لا يكتمل الا بحبك القول وتطريزه بالمقومات الأسلوبية المناسبة ... إذ لابد من تجميل شكل الخطاب الذي يحدث الاستمالة))[٢٧]. و قد استند الخوارزمي في ذلك إلى نجاعة

بلاغة الدعاء و طاقاته الإقناعية و حججه المنطقية القارة في الثقافة الإسلامية ، فالبراهين الذاتية المتصلة بأخلاق المؤلف و معالم شخصيته كالانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى والتضرع اليه و التماس العون منه لأجل قول الحق و العمل به و اتقاء الغي و الباطل و التنزّه عنه والورع عن الزيغ و الجهل و التعفّف عن الخيلاء و الزهو الأجوف ، تؤلف مجتمعة منطلقات حجاجية هي موضع اتفاق ديني يقدمها الخوارزمي بين يدي المتلقي ليضمن كسب تأييده و اصطفافه إلى جانب المكونات الحجاجية التي سيعرض لها لاحقا وبطريقة محكية ، فهو لم يدخر وسعا في ترداد التبرّم بالمحنة التي ألمّت قديما بالأدب عموما و بالكتّاب على وجه الخصوص ، كما أنه يصبّ جام نقمته على مظهر من مظاهر تلك المحنة ، متمثلة بفئة من الناس عبّر عن ضجره منهم عندما اختزل نعته لهم بزمرة من الثنائيات الضدية ساقها في قوله : (كثر المدعون ، قل المتحققون ، هم عارون منه ، هم خالون منه ، عالم لم يعلم ، مفهم لم يفهّم) ، فضلا عن التقابل الدلالي الذي حفلت به بنية التضاد في التراكيب اللفظية السريعة و المتتالية التي أتى بها ممهدة لختم هذا الفصل من فصول مقدمته الطويلة بمحصلة قرآنية ذات وزن حجاجي و رجاحة منطقية هي قوله تعالى ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ ، حيث سياق استدعائه لها له صلة وثيقة بالتضاد الذي تلونت به جمل التقابل الدلالي التي تعد انعكاسا لحقيقة صراع ثقافي سعى الخوارزمي إلى استثماره في مقام الترويج لذاته و لمؤلَّفه ، عبر تضييق الخيارات الفكرية لدى المتلقي و حصرها بمهارة في نطاق البرهنة على صدق دعواه من خلال كشف مثالب الآخر، أو كما عُبّر عنه قديما بقولهم :(بضدها تتبّين الأشياء) .

٢- عتبة التعريف بالمقام و الكتاب

بعد تحرير الخوارزمي للعتبة النصية السابقة من المقدمة ، التي كرّسها للحديث تنزيه ذاته من سوآت زمانه الأدبي ، انعطف بعدها لتشييد عتبة نصية أخرى هي العتبة الأكبر من بين عتبات مقدمة كتابه ، أما وظيفتها فكانت توجيه القراءة نحو دوافع و أسباب تأليف الكتاب ، والتأليف كما قيل قديما على سبعة أقسام ((لا يؤلف الا فيها عاقل عالم إلا في أحدها ، ، وهي إما شيء لم يسبق إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتمّه ، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه ، أو شيء متفرق يجمعه ، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه)) [٢٨] .

و قد أفاض الخوارزمي و أوغل في الحديث عن ظروف إنتاج كتابه ، وعن بواعث اختيار الأمثال

المولدة في عتبة توجيهٍ للقراءة ذات وظيفة حجاجية إقناعية هي عتبة المقام ، التي مضت في إثارة شغف المتلقي و حثّه الاستغراق في قراءة الكتاب ، فللمقام أهمية واسعة في إتمام العملية التواصلية الإقناعية ، بوصفه ركنا مهما في المنظومة اللغوية و سيرها المتسلسل الذي يضم رباعية العملية التواصلية من مرسل و مرسل إليه و مقام و رسالة ، و لهذا أدرك نقادنا القدامى أهمية هذه المكانة ، فشيّدوا على قاعدتي (لكل مقام مقال) ، و (موافقة الكلام لمقتضى الحال) [٢٩]. مناهج مداركهم البلاغية ، حتى وصفوا بسبب هاتين القاعدتين ((بأنهم وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية فقط ، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء))[٣٠] .

يقول أبو بكر الخوارزمي في سياق ضمّ فضائه النصي للمزيد من العتبات وموجهات القراءة ، ومنها عتبة المقام : ((ثم إن هذا كتابٌ صنفناه نداري به الزمان ، ونجانس بتأليفه الوقت ، ولكل زمان تصنيفٌ يحكيه ، وفي كل وقت علمٌ يقتضيه ، وربما ضاق الوقت عن صرف الجد ، وجلَّ عن كلِّ الهزل، فاحتيج إلى سلوك طريقة بينهما ، ولكل مقام مقال))[٣١]، و الكتاب الذي صنّفه أبو بكر الخوارزمي هو عمل أدبي تجلى فيه الحرص على إعادة إنتاجه بقراءته على وفق قاعدة مراعاة الذوق النقدي السائد ، و ميول النزوع نحو التمسك بالنموذج الأدبي التليد ، و الحذر من مغبة المساس بمكانته ، وقد أفصح عن ذلك بقوله : ((و نحن نخرج من عهدة هذا الكتاب ، ونبرأ إلى الناظر فيه من عيبه عنده ، ونكشف له عن صورته فيه ، ليكون نظره فيه عن بصيرة ، وتركه له عن معرفة ، فإنه إن طلبه غير عارف بفضله كان مقلدا ، وإن رفضه دون إقامة الحجة كان متحاملا متعصبا))[٣٢] ، ويتجلى في كلام الخوارزمي مراعاته الواضحة للمقام في التنبيه و الإشارة إلى المواءمة و التناسب و المجاراة بين الغاية والمقصد من تأليف الكتاب و المقام الذي ألمح إليه الخوارزمي مرة بالزمان و أخرى بالوقت و ثالثة بالناظر الذي دعاه على أساس قاعدتي التعفّف و التخيير إلى تبني نمط من القراءة التبريرية الواعية المجردة من التعصب للقديم و المقت النقدي للنص المولّد و النبذ له دون بيّنة أو قرينة منطقية ، أو على الأقل التخلي جزئيا عن المعتقدات القرائية المرتبطة بـ((تقاليد وعادات وتجارب قرائية بعضها موروث وبعضها طارئ، وفي الغالب تلعب المرجعيات الثقافية، والنقاشات العابرة والموجهة بين الناس دورا في نشوئها أو تكريسها ، وفي ظروف ممارستها))[٣٣]، ولذلك كان

كلامه يستبطن دعوة ضمنية إلى تبني المتلقي لقراءة تستند إلى خطوات حجاجية تستبق أحكام القيمة بأدوار تتمثل بالتفكير و التدبر والمناقشة و التبصّر، لينتقل المتلقي بعدها فيكون شريكا تداوليا في عملية إنتاج الخطاب العتباتي، وهذا أوكد لتدعيم بلاغة عتبة المقام بطاقة حجاجية إقناعية تضمن قدرا كبيرا من القبول و الاستجابة و من ثم الاندماج في قراءة وتقبل محتوى الكتاب ، فـ((الرجل البليغ يجب أن يقدم قبل كل شيء البراهين على حكمته ، ويتكيف مع مختلف الظروف والشخصيات ... ولا يجب أن يتكلم دائما بنفس الطريقة أمام الجميع ، ولا ضد كل شيء ، ولا لصالح أي شيء، عليه إذن لكي يكون بليغا أن يكون جديرا بأن يجعل لكل مقام مقالا لغويا ملائما له))[٣٤]. و تستمر عتبات الخوارزمي النصية بالتدفق ، و بإحكام قبضتها على توجيه القراءة نحو المقاصد والغايات ، وضمان سيرورة الاتصال الأدبي بين القارئ و النص الذي يمثل نشاطا مشتركا بينهما ، حيث التمظهر الوظيفي للعتبات يتلخص في كونه خطابا غير اسمي ، موجهٍ و مساعدٍ ومسخرٍ لخدمة شيء آخر يثبت وجوده الحقيقي ، ويشكل وعي كينونته ، وهو النص ، وهذا ما يكسبه تداوليا قوة إنجازية اخبارية ، بوصفه رسالة موجهة إلى القراء[٣٥] .

و بالتوازي مع عتبة المقام التي لا تنفك تضبط إيقاع تسلسل الموجّهات القرائية المتتالية ، تنبثق عتبة أخرى هي عتبة التعريف بالكتاب ، و تحديدا عتبة الجهر بمصادره ، يقول الخوارزمي : ((هذا – أرشدك الله – كتابٌ التُقط من أفواه الشطار و العيارين ، وجُمع في مجالس المغنين و المضحكين ، وروي من البَمّ و الزِّير ، وحصل في أثناء البرابط و المزامير ، وسمع أكثر ما فيه من السُّؤّالِ والسابلة ، وتُلقّف من كلام الظرفاء و الصوفية ، فإن طالبتنا في أسانيده باسم الحسن البصري و بالرواية عن بكر بن عبد الله المزني و المراسيل عن فرقد السبخي و السماع عن محمد بن كعب القرظي وقتادة بن دعامة السدوسي، وأخذتنا في أبياته برواية الأصمعي ، واختيار المفضل الضبي، وتصحيح أبي عثمان المازني، وإجازة محمد بن المستنير النحوي، وأبي عبد الله بن الأعرابي، أو أردت منا وفي أمثاله أن يكون من حِكم أكثم بن صيفي ، أو أمثال بيهس الفزاري، أو نوادر بن الظرب العدواني، وعمرو بن حممة الدوسي، كنت قد طالبتنا بما نعيى به ، وتحكمت علينا بما نعجز عنه ، وكل شيء من معدنه يُجلب وكل متاع في قرارته يُطلب))[٣٦] ، استهل أبو بكر الخوارزمي هذا العتبة من عتبات المقدمة بجملة اعتراضية هي قوله : (أرشدك الله) ، التي تنطوي على قدر كبير من التبجيل و التفخيم

للمخاطب ، و تمثل إقرارا قوليا له بسمو مكانته و علو رتبته ، وهي صيغة دعائية جاهزة تنتمي إلى تداولية آداب التخاطب مع ذوي الشأن والوجاهة ، كانت غاية الخوارزمي منها استمالة المخاطب و استدراجه عبر هذه الاستراتيجية التأدبية التي تراعي مقامه فضلا عن مشاعره وعواطفه إلى تقبل عتبة نصية تقتضي هذا القدر من الحميمية لتأطير مواجهته بخرق نظري للسائد الثقافي و المألوف النقدي ، ينطوي على مخالفة ثقافية مهّد لها الخوارزمي بإزاحته الستار عن مادة كتابه التي عبر عن افتقارها لهوية التوثيق الفكري بحشده لمجموعة من الأفعال المبنية للمجهول هي (التُقط ، جُمع ، رُوي ، حُصّل ، سُمع ، تُلقّف) ، حيث تضافرت التراكيب اللغوية مع الأساليب البلاغية و تحديدا التقابل الدلالي و أسلوب الشرط لتنويع الخطاب مرة أخرى ابتغاء التأثير في المخاطَب و حثّه على الامتثال ، فقد شيّد الخوارزمي عتبته الحجاجية في هذا الجزء من المقدمة على فرضية المناظرة مع المخاطَب و علاقة التلازم بين مقامين متضادين لنموذجين مختلفين ، وتتجلى سلطة توجيه القراءة في ما تنطوي عليه فرضية المناظرة من طابع حواري كبير يفضي التوصل لنتيجة و ينتهي بحكم خارجي [٣٧]. كما أنه برع في تقييد فسحة الخيارات بشأن المقامين المتضادين على توجيه المخاطَب نحو أحدهما ، بعد فك التلازم الحجاجي بين النموذجين أو المقامين ، والجهر ببعد الشُقَّة بين إشهارية سلالة التوثيق العتيدة متمثلة بقواعد (الإسناد والرواية والسماع والاختيار والتصحيح والإجازة) ، وأسماء الشخصيات التراثية التي استحضرها الخوارزمي لأنه يعي تماما أن حضور هذه الأسماء يعني الإسناد والموثوقية ، التي تتنافى مع نصوص الأمثال المولدة بوصفها لا تمثل تكرارا لأمثلة سابقة ، وليس من السهل نسبتها إلى مؤلف بعينه ، فكل نص يُنتج في ((إطار بنية نصية شاملة تتكون تاريخيا ، وفي إطار تطورها التاريخي تطرأ تحولات ، وبعض هذه التحولات تمتصها تلك البنية وتصبح جزءا منها))[٣٨]، كما أن الخوارزمي استحضر هذه الأسماء في سياق التفريق بين المقامين مقام الإرسال الذي تنتسب له مادة كتاب الخوارزمي ، و مقام الإسناد و التوثيق الذي تحرص عتبة فك الارتباط به على امتلاك السلطة الحجاجية لتوجيه القراءة نحو إضفاء الشرعية على هذا النوع الأدبي الطليق أي الأمثال المولّدة

٣- عتبة التقعيد للتأليف

تشتمل هذه العتبة المديدة من بين عتبات المقدمة المطوّلة في كتاب أبي بكر الخوارزمي (الأمثال المولّدة) على تتبع مظاهر التعليل و معالم الاستناد إلى التوسّع في استعمال الأمثال المولدة في الكلام

بوصفها أساسا لإباحة تأليف الكتاب ، ومن ثم التقعيد لهذا التأليف، حيث يقول : ((ونحن نعتذر إليك من الحاجة إلى جمع هذا الكتاب بما عليه جلُّ أهل الزمان ، وخدم السلطان من الميل إلى الأدب الرطب لسهولته و النفور عن الأدب اليابس لوعورته ، حتى أن أحدهم يتطيّر من شعر أهل الجاهلية ، ويتبرّم بعويص النحو واللغة ، ويضرب (قفا نبكِ) مثلا لكل مبتذل، ويجعل ((عفت الديار)) معيارا لكل متروك مهمل ... و إنما الأدب– أرشدك الله– لسانٌ ، واللسان آلةٌ تنفق بطلب الطالب لها ، ورغبته بها، كما تكسدُ برغبته عنها ، وانزوائه منها ، فالمهمل إذا احتيج إليه مستعمل ، والمستعمل اذا استغني عنه مهمل، ولذلك من الشأن ترك الناس ذكر الشيح والقيصوم ، وأقبلوا على ذكر النرجس ، والورد، وطووا ذكر الأثافي والرماد والوقوف على الأطلال والأوتاد إلى ذكر البساتين والأنهار ، والتعلل بالأنوار والأزهار ، وأغبّوا ذكر (زينب) و(عثمة) وأكثروا ذكر (تحية) و(نزهة) ، إذ كان هذا أجرى على لسانهم ، وأشبه بحكم زمانهم ، وقد قال أمير المؤمنين :((الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم)) ، فبالجملة أن الناس بالزمان ، و الزمان بالسلطان، و السلطان متصرف على حكم حاشيته و بطانته ، و ناظر بأعين كتّابه و كُفاته، وجلّهم بل كلّهم مائل عن مرارة الجد إلى حلاوة الهزل ، يستبشع الإعراب ، ويلعن الأعراب ، ويتطيّر من شعر الشماخ والطرماح إذا رووه ، وينفر من كلام قُسٍّ وابن الاهتم إذا حكوه ، فإن فاوضه مستعطف ببيت لحاتم طيء زوى وجهه، وصعّر خده، وسدّ أذنه، وجعل حرمان من أنشده جزاءه ، هذا إذا لم يتعدَّ ذاك إلى شتم الحي ، ولعن الميت . و لما كان الشأن هذا الشأن ، والزمان هذا الزمان ، وضعت هذا الكتاب ، وجمعت فيه أمثالا استحدثها مولدو العصر ، وأنشاءُ الزمان ، وأبناء الدولة العباسية من أهل بغداد ، وغيرها من العراق ، ودمشق و ذواتها من الحجاز ، وهي قريبة إلى الفهم ، عذبة على اللسان ، مقبولة في القلب ، لا يجهلها العامة ، ولا يتكبّر عنها الخاصة ، وأكثرها مُرسلة لا يُعرف أصحابها لإتيان الزمان على ذلك ، ولأن كلام العرب لا تقيّده الأفهام ، ولا تُشغلُ بتخليده الأقلام ، ولا يجري في الضبط والرواية مجرى كلام العرب الذين حفظوا أنسابهم ، وقيدوا آدابهم ، وعلموا أن الأمثال حكمتهم فوعوها ، وأيقنوا أن الأشعار دواوينهم فرووها، فأخذها الباقي عن الماضي، وتلقفها المستفيد عن الراوي ، حتى وصلت إلينا فأودعناها الكتب ، وشغلنا بها الخواطر . وإنما غايتنا في هذه الأمثال أن نلتقطها من أفواه الكُتّاب في الدواوين ، والتجار في الأسواق ، والغرباء في الأسفار، والخلعاء في مجالس الطرب ، والمتكلمين في مجالس الجدل،

والشعراء في مواضع المبادهة والمناداة ، والملوك والعمال في مجالس الخلوة و المنادمة ، لما رأيناها في المحافل أجول ، وبالقلوب أعلق ، وبالوقت أليق . وليس كل ما قاله رجلٌ يتمثّل به ، ولا جميع ما استعاره مستعير في صفة أو مدحةٍ أو هجاء أو معاتبة نسقناه ، وإنما قصدنا المثل السائر الذي لم تُرسله العربُ الأُول الحجازيون ، ولا ذكره المصنفون ، الذين انتدبوا ، لجمع هذا الباب ، كأبي عبيد ، والمفضل الضبي، وكالأصمعي ، وعلي بن الزبن الطبري ، وقبلهم عبيد بن شريّة الجرهمي. وليس كل نعت صائب ، ولا كل كلام فصلٍ يسمى مثلا، وإنما المثل ما استعمله غير واضعه وهو يقبله ، و وضعه في أثناء كلامهم الخاصة والعامة ، فقد قال قومٌ في الجاهلية وصدر الإسلام أقوالا لو استعملت لكانت أمثالا ، بل كانت تُربي على كثير مما استعملوه، فدفنت تحت النسيان ، وماتت في أثناء الدفاتر، وليس لهذ الباب حدٌ معلوم ، ولا رسم مرسوم، وإنما هو على حسب ما يعرض للبخت ، وينفُقُ في الوقت ... وقد كان الرجل في صدر الإسلام والآخر في الجاهلية يرسل الكلمة فتُترك ، ولا يتمثّل بها إلا في أيام هذه الدولة العباسية ، ويطوي المصنفون في هذا الباب ذكرها ، فإذا ورد عليك شيء من ذلك فلا تُنكره ، فإن شرطنا ما أهمل ذكره القدماء . وبعد فقد قال قوم أقوالا سيّرها أهل بلادهم ، ومجاوروهم في ديارهم أمثالا ، إلا أنها لم تُستعمل فيما يباين تلك الديار من الأقاليم والبلدان ، فأهملتُ ذكرها ، إذ كان شرطنا ما استفاض وسار ، واستوى فيه القريب والبعيد ...))[٣٩] ، و يتجلى في هذه المطوّلة العتباتية موقف أبي بكر الخوارزمي في التعليل و اعتماده آلية الاستدلال الحجاجية ، التي تقوم على عرض تفصيلي لمقدمة ما تكون بمثابة عتبة للبرهنة على شرعية قضية أخرى تقوم مقام النتيجة لتلك القضية ، فضلا عن القياس لتأليف كتابه الأمثال المولدة ، وذلك تأسيسا على مرتكز منهجي ذائع ينتمي إلى عصر التدوين ، وهو مبدأ الجمع و الوضع على وفق شروط زمانية و مكانية ، حيث جمعت أصول اللغة العربية و تم تهذيبها و تنقيتها مما علق بها من دخيل و غريب ، و كان من نتائج هذا الجمع التفريق في لغة التخاطب بين المستعمل و المهمل ، وهو المنهج ذاته الذي قامت عليه المعاجم العربية القديمة في تركيبها للحروف الهجائية و ضم بعضها إلى بعض في ألفاظ ثنائية وثلاثية و رباعية وخماسية ، كمعجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي مثلا ، و يعد التقعيد تطبيقا إجرائيا يسعى من خلاله المؤلف إلى صوغ منهج إجرائي يجمع فيه شتات ما يبدو مفرّقا ، و نظم شعثه في قاعدة ذات قوانين و ضوابط ذات معالم واضحة ، فهو يستهدف((تقديم

الضوابط والأسس التي يتم بمقتضاها وضع القواعد))[٤٠]، أما صلته بقرينة كثرة الاستعمال و اتساعه ، فتتمثل في الضوابط التي يستنبطها المؤلف ((من استعمالات الناس للغتهم ... ومن هنا كان التقعيد رهين الاستعمال صادرا عنه موفرا لأسباب الكلام ومقاييسه ، ممكّنا المتكلم من دليل يقتدي به و مرجع يحتكم إليه ونموذج منظر يقيس عليه))[٤١]، والتقعيد هو عملية وضع القواعد ، أي باستخراجها و استخلاصها من الظواهر اللغوية ، وجعلها أحكاما كلية تنطبق على أفراد مجموعة الظاهر المتماثلة [٤٢]. لقد جمعت اللغة العربية كما هو معروف من الأعراب الذين كانوا ما يزالون في عصر التدوين يعيشون في حالة من خشونة البداوة ولم تفسدهم رقة الحضارة مع المراكز الحضرية التي تفشت فيها ظاهرة الاختلاط ، فكانت النتيجة أن صارت لغة المعاجم لغة عالَم الأعرابي ، وهو عالم البداوة والتكرار وعالم الرتابة و ان مبدأ التمييز بين المستعمل والمهمل وسيلة لصنع اللغة العربية ، و ان مبدأ المستعمل والمهمل مبدأ يجب اعتماده دوما لأنه وحده المبدأ الذي يمكّن من مساوقة التطور ويفسح المجال للتجديد ، ذلك أن لكل عصر مستعمل ومهمل في اللغة كما في الأدوات الأخرى ، فاللغة الوحيدة الصحيحة هي لغة الكلام [٤٣]، وهي تخضع لمؤثرات اجتماعية عديدة منها الدين ، والفلسفة ، والسياسة ، والحرب، وما إلى ذلك[٤٤]، فالبشر و اللغة يتغيران و يتجددان و كذلك يتقادمان لأن اللغة تخلق كما تخلق الثياب و الإنسان من خلال تتابع الأجيال التي تتغير و تتبدل و اللغة كذلك[٤٥]، فـ((لقد تغيرت الحياة في الدولة العباسية تغيرا واسعا ، وبهذا التغيير انتقلت الأمة من بقايا حياة البداوة إلى الحضارة ومن خشونة العيش أحيانا إلى رخاء النعمة ، وشارك الشعراء والأدباء في هذه الحياة الناعمة مشاركة واسعة . وليس من العجيب أن يختلف الشعراء في هذا العصر عما كانوا عليه في العصور السابقة ... فقد ترك الشعراء البوادي واتجهوا إلى المدن ، وفازت بغداد والبصرة والكوفة بنصيب وافر منهم))[٤٦]. و ممن أبرز مظاهر هذا التقعيد هو وفرة الشواهد و الشخصيات الأدبية التي زخرت بها هذه المطوّلة العتباتية ، وهي نماذج نسقية ذات سلطة حجاجية استحضرها الخوارزمي مع حمولاتها التاريخية الأثيرة لدى المتلقي بوصفها حججا جاهزة أو قواعد ثابتة و قارة في الثقافة الأدبية و مكمنا للتواضع الثقافي و الإجماع الذي لا يقبل الشك أو الدحض ، و قد استهل نماذجه التقعيدية بشعر أهل الجاهلية ، و بـ(قفا نبكِ) و (عفت الديار) تحديدا ، فقدمهما بين يدي المتلقي معيارا كما قال هو لصرامة النبذ الذي ألمّ بتلقي هذه النماذج في عصور أدبية متأخرة عن عصر تلقيها الذهبي ، ثم توالت

الأمثلة التي ذكرها في سياق تعليله للتأليف و الاختيار للنوع الأدبي الذي اصطفاه مادة للكتاب ، متدرجا في استخلاصه لهذه النماذج من المطرد الشعري[٤٧]، و المشهور من كلام العرب ، وحدد لذلك مصطلحين ذائعين في ميدان النقد اللغوي و صالحين للاحتجاج هما المستعمل و المهمل بوصفهما مصطلحين مأنوسين لمن يقتفي أثر الأسلاف من النحاة في تحكيم النزعة العقلية في القياس و الاستدلال ، كما أنه لم يدخر وسعا في تقديم سرد كلامي لحقلين لغويين ينتمي كل منهما لمبدأ القياس و الموازنة في الاستعمال لتوابع المصطلحين ، فذكر نبذ الناس للشيح و القيصوم و الأثافي و الأطلال و الأوتاد و زينب و عثمة و شعر الشماخ و الطرماح و حاتم طيء و كلام قُس وابن الأهتم ، و تهافتهم على ذكر النرجس و الورد و البساتين و الأنهار و الأنوار و الأزهار و تحية و نزهة ، فضلا عن جميع التراكيب الضدية و المقابلات الدلالية التي تعزز هذا المبدأ النظري الذي يمكن أن نصطلح عليه بالتلازم الحجاجي ، حيث تحول القياس و الاستدلال إلى أداة حجاجية تعتمد على المقابلة بين الحالين ، بين زمنين متباينين لكل منهما سلطته و سطوته ، زمن البداوة وهو ما تواضع عليه المجتمع ، فبات مهملا مهجورا ، و زمن الحضارة التي قال عنها ابن خلدون إنها ((تفننٌ في الترف و إحكام الصنائع المستعملة في وجوهه من المطابخ والملابس و الفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله ، فلكل واحد منها صنائع في استجابته و التأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا ، و تتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف ، وما تتلون به من العوائد ، فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة ، لضرورة تبعية الرفه للملك))[٤٨].

وبعد كل هذا الاستغراق في التعليل و التقعيد للتأليف صار المقام مواتياً للجهر بعِماد التقعيد وهي المقاصد و المنهج و التعريف بالنوع الأدبي أي الأمثال المولدة ، بعد أن أحرز الخوارزمي قسطا ضافياً من مهارة التأليف ، الذي هو ((عمل تركيبي تتعاون في إتمامه عناصر لا تحصى من الثقافة و التحصيل والاتصال و التأمل والإحساس و الخيال والتحليل والنقد والرأي والبرهنة والتعديل والتطوير والتركيب والانتقال من المسائل الجزئية إلى التنظير و النظرة الشاملة الكلية)) [٤٩]، و ذلك في خاتمة هذه العتبة من عتبات المقدمة ، حيث يمكن إيجاز ترتيبها على وفق ثلاثية منهجية لمعيارية هذه الشرائط كما اصطلح عليها الخوارزمي، في التقعيد التفريعي الآتي :

شرائط تأليف كتاب الأمثال المولدة		
وضعت هذا الكتاب ، و جمعت فيه أمثالا استحدثها مولدو العصر ، و أنشاءُ الزمان	المثل ما استعمله غير واضعه وهو يقبله ، و وضعه في أثناء كلامهم العامة و الخاصة	قصدنا المثل السائر الذي لم ترسله العرب الأُوَلُ الحجازيون ، ولا ذكره المصنفون الذين انتدبوا لجمع هذا الباب

٤- عتبة الخاتمة

الخاتمة هي الجزء الذي يرشد به المؤلف إلى منتهى كلامه الذي هو بإزائه ، و هي ركن متجذر في بلاغة الأقوال ، حيث لا غنى عنه في التراسل النصي ، وليس أدل على الأدوار الإشهارية والجمالية للخاتمة من أنيق الأنس بها في قولهم : مسك الختام ، و الأعمال بخواتيمها ، كما أن شأنها قد بلغ حدّ عدها معيارا لحسن الكلام و قبيحه ، لأنها في ((الكلام أبقى في السمع ، و ألصق في النفس لقرب العهد بها ، فإن حسنت حسُن ، وإن قبحت قبُح))[٥٠]. و الخاتمة لا تقل أهمية عن الاستهلال ، فكلاهما يعمل على تماسك البنية النصية ، وتشييد مسارها الإبداعي ، فضلا عن تبئيرها أي الخاتمة لمقاصد النص في نطاق مباغتة المتلقي بسياق إبلاغي اختتامي ، فهي ((تهدف إلى وضع البصمة و الصورة الأخيرة في ذهن المستمع ، والتي بعدها مباشرة قد يصدر الحكم))[٥١]. ولهذا تتنظم فقراتها في هذا السياق لتؤلف مجتمعة عتبة نصية تشكل علامة لغوية تبرهن على أن الحدث الكلامي قد بلغ منتهاه و اكتملت حدوده الجوهرية ، ولهذا فإن هناك من يرى بأن ((النهاية يجب أن تلقى الكثير من الاهتمام لدى الكاتب ولدى القارئ ، لأن النهاية هي الجزء الذي يبقى عالقا في ذهن القارئ أكثر من غيره ، ويترك أثرا فيه))[٥٢]، لذلك حرص أبو بكر الخوارزمي أشد الحرص على أن تكون هذه العتبة الختامية من عتبات مقدمة كتابه الأمثال المولّدة مؤثرة في وجدان المتلقي حد الاندماج مع أفق تلقيه للكتاب ، حيث يقول : ((وكأني بك – أرشدك الله– وقد نظرت في هذه الشرائط ، وتخلّلت أثناء هذه الحكايات ، واستوعبت هذه الأقسام ، ثم نطقت بحقارة الكتاب ، وصغر حجمه ، وقلة فائدته ، فقلت : ((الجلُّ خيرٌ من الفرس)) و ((الساجور خير من الكلب)) . وما أظنك إلا صادقا فيها ، والإقرار

بالذنب أمان من العيب ، ونحن نسأل الله تعالى التوفيق ، فإنه يقرّب البعيد ، ويسهل الشديد ، ويكفي المهم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل))[٥٣]. فعقب جميع عتبات التوجيه النصية للقراءة التي ساقها الخوارزمي ببراعة وحنكة ، و ((التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره))[٥٤] ، عمد إلى تزويد المتلقي بجميع الإجابات على شبهات التوهين التي تلاحق مادة كتابه و جهد تأليفه ، لأن ((التركيز على كيفية إنتاج الأعمال الأدبية من دون إشراك متلقيها ، يجعل الفهم ناقصا))[٥٥] ، حانت لحظة التدخل المباشر لتوجيه القراءة في عتبة الخاتمة بافتراض منطقي أسسه الخوارزمي على قاعدة المفارقة الحجاجية لكل ما سلف ، وذلك في قوله : وكأني بك ، ثم يقطع صلة هذا التركيب المتخيّل بما يليه بجملة اعتراضية قوامها الدعاء للمتلقي بما يرقق من فظاظة الخطاب المباشر له ولمنزلته العليا ، ليتماهي بعدها مع المتلقي مرتين مرة في تراتبية منطقية تستبطن التناقض بين أفعال القراءة (نظرت ، وتخللت ، واستوعبت ، ثم نطقت) ، وبين حكمه الافتراضي بحقارة الكتاب و وضاعته ، و أخرى في إحكام الصلة به عبر المصادقة و البرهنة على رجاحة ما ذهب إليه من خلال توكيد المصادقة بأسلوب الحصر الاستثناء في قوله : وما أظنك إلا صادقا ، و الاستشهاد بمثلين ينتميان إلى النوع الأدبي ذاته الذي تفترض المفارقة الحجاجية اضمحلال متنه و قلة جدواه . أما دعاء المؤلف لنفسه في نهاية هذه العتبة ، الذي اتخذ صورة التقمص للإقرار بالذنب ، فهو تقليد كلامي درج عليه كتّاب الترسّل ، بأن يظهروا قدرا من الإذعان و الاستكانة التي تلوّن الكلام بصبغة براءة صاحبه من الخيلاء و الزهو ، و لكن الخوارزمي ألمح في السياق ذاته إلى تحرر ذاته الكاتبة و انعتاقها من ضغط شعور التضحية بها في حضرة سلطة قراءة التقييم ، و من ثمّ العروج بها إلى فضاء الاحتماء بالله و الاعتصام به سبحانه وتعالى .

و بعد أن أتم الخوارزمي التقديم لكتابه بمقدمة عتباتية مطوّلة ، كانت أشبه بممهدات تفصيلية عن كل شيء يتعلق بالأمثال المولدة عينة الدراسة ، صار أمر عرضها على القرّاء مقرونة بلواحقها النصية و مصاحباتها العتباتية التي تضيء مسالك الاستبصار إليها حتمية إجرائية تعزز الوظيفة التواصلية بين أطراف التراسل ممثلة بالمرسل والنص و المتلقي ، وقد تجلت هذه العتبات بصور و أشكال متنوعة يمكن إجمالها و حصرها بالآتي :

ثانياً: عتبة التوجيه اللغوي لقراءة المثل

أولى أبو بكر الخوارزمي ألفاظ الأمثال المولدة عناية كبيرة ، بوصفها عِماد تلقي المثل الذي يتجلى كممارسة نصية لا يمكن فهمها إلا بعد تحليل و معرفة مكوناتها البنائية ، فإن ((النص أي نص هو عبارة عن نتاج لغوي بالدرجة الأولى يعمل على تنظيم آليات اللسان ، لأغراض تواصلية))[٥٦] ، ولقد وعى أبو بكر الخوارزمي هذه الحقيقة ، فحرص على شرح الأمثال ، وتعهدها بالقراءة اللغوية التي تراعي مستويات بنائها المختلفة معجمية كانت أو صرفية أو نحوية أو بلاغية ، لان الخوارزمي يدرك أن جهد جمعه لهذه الأمثال لا يكتمل إلا بخطاب تفسيري موازٍ لدأبه في مقاربة هذا النوع الأدبي الذي أسبغ عليه من الشرح و التفسير و التعليق ما يكسبه مديات إقناعية و تداولية ، ونجد أن الخوارزمي يجتهد في التعليق على ألفاظ الأمثال التي جمعها بولع و شغف ، و تعهدها بالنقد كاشفا عن كل ما يمكّن المتلقي من توسيع معارفه و إثراء رصيده الثقافي ، ومن أمثلة ذلك قوله بعد ذكر المثل :

((أفلسُ من زُجّ . و زُجّ مولّدةٌ ، وهو عندهم الذي ينفخ للصبيان في لعبهم بالجوز حتى تتدحرج الجوزة إلى الحفيرة ، فيُرشى لذلك ، ويكتسبُ منه))[٥٧]، فالخوارزمي هنا عمد إلى التعريف بلفظة زُجّ من خلال كشف أصل استعمالها اللغوي و معناها لدى الجماعة البشرية الناطقة بها ، فقال عنها بأنها مولّدة ، و هو في هذا ينطلق من بيان نظري و تواضع معياري لدى القدماء يعدّ ((كل لفظ أو تركيب جاء عن طريق الاشتقاق أو تحويل الدلالة أو التعريب أو حدوث تعديل أو تحريف أو لحن في الصيغة و تكلم به المولّدون أو العامة بعد عصر الاحتجاج من المولّد ... ومن هنا رأينا أن معظم تعليقات اللغويين على الكلمات المولّدة بأنها ليست من كلام العرب أو أنها من كلام المولّدين أو عرّبه المولّدون))[٥٨]. و لم يقف الخوارزمي عند هذا الحد بل أفاض في التعريف بتداولية هذا التواصل اللغوي ، وتقييده بذرائعية شيوعه لدى المولّدين ، وظرفية ذيوعه الاجتماعية المتمثلة بالضمير (هم) في لفظة (عندهم) ، ويبدو على تعليقه توجيه للقراءة بأن الاستعمال اللغوي للفظة (زُجّ) هو ملمح من ملامح الثراء الثقافي الذي يتوسل به الخوارزمي إلى تسويغ هذا النوع الأدبي أي الأمثال المولدة ، وبأن وجود المولّد في اللغة هي ((ظاهرة إنسانية طبيعية تنتج عن التقاء البشر و تعاونهم ، وتبادلهم المنافع والخبرات ، لأن التفاهم اللغوي وسيلتهم الأولى إلى ذلك))[٥٩]. ومن الألفاظ الأخرى التي وقف عندها الخوارزمي لفظة درزة ، حيث علّق على المثل (أبناء دّرزة) بالقول : و الدّرزة : الأمَةُ

الزانية[٦٠] ، و مثله أيضا تعليقه على المثل (هو أفسد من نِمسٍ) ، حيث قال:((وهي دويبة أصغر من ابن آوى تكون بالشام))[٦١] ، و ليس ببعيد عنه تعليقه على كلمة (يعفور) في المثل ((هو قرابته من اليعفور. وهو اسم حماره عليه الصلاة والسلام))[٦٢]، وهناك نماذج مناظرة أولاها أهمية قصوى في شرحه للأمثال المولدة [٦٣] .

ثالثاً: عتبتا التوجيه الصرفي و النحوي لقراءة المثل

في كتاب الأمثال المولّدة تتنوع منافذ شرح الأمثال تبعا لتنوع نصية تلقيه و تفاوت سطوة بنياته اللغوية و مستويات تركيبه الأسلوبية ، و لذلك لا يتوانى الخوارزمي عن النفاذ إلى شرح الأمثال من خلال البنيتين الصرفية و النحوية لألفاظها و تراكيبها ، ومن أمثلة ذلك قوله بشأن المثل : ((أبخرُ من سَبُع . والوجه أن يقال : أشد بخراً ؛ لأن الأبخر اسمٌ))[٦٤]، فهو يلحق إيراد المثل بعتبة تلقيه من وجهة تبئير صرفية ترصد الشذوذ الصرفي الذي اكتنف صيغة التفضيل في كلمة أبخر ، حيث عمد إلى تقويم هذا الانحراف بقوله : و الوجه أن يقال أشد بخراً ، ثم علّل هذا التوجيه الصرفي للقراءة التي ذكرها باقتضاب غير مخل و مكتنز بمدلولات القاعدة الصرفية التي تشترط أن يصاغ أسم التفضيل من الأصل الثلاثي لفعل ما يصح فيه التفاوت و التفاضل ، و البخر هي رائحة فم كريهة و مرذولة لدى السباع تتنافى مع مقصديات بلوغ الذروة في جمالية التصوير و متعة التوصيف ، و إن تعذر توافر هذا الشرط يقتضي صياغة اسم التفضيل من فعل مساعد كأشد و نحوه ، حيث ذهب النحاة إلى امتناع صياغة أفعل التفضيل من العلل و العيوب الظاهرة [٦٥] ، وهذا ما فعله الخوارزمي في توجيهه لقراءة هذا المثل ، و النفاذ إليه من عتبة تقويم أوده الصرفي. ولم يقف في شرحه للأمثال المولدة عند هذا الحد بل تخطاه إلى بسط القول بشأن توجيه قراءة المثل من وجهة نحوية ، و من أمثلة ذلك تعليقه على المثل كأنه زيدٌ المضروب ، حيث قال : ((و كأنه زيدٌ المضروب . إذا كان مُلقّى . تذهب إلى قول النحويين : ضربَ عمروٌ زيداً))[٦٦] ، فأبو بكر الخوارزمي لا يفتأ يحذو حذو أئمة النحو في توجيه قراءة المثل من خلال عتبة الاحتفاء بهذا المثال الأثير لديهم في التقعيد النحوي ، بوصفه مثالا لتعدي الفعل أو تباين حالات الفاعل أو المفعول بين الرفع و النصب .

رابعاً: عتبة التوجيه البلاغي لقراءة المثل و شرحه بالأضداد

تمثل عتبة التوجيه البلاغي إحدى ذخائر الخوارزمي المعرفية التي سخّرها لبيان أدبية الأمثال المولدة ، و كشف أساليبها التعبيرية و عناصر تكوينها الفنية، ومن أمثلة ذلك تعليقه على المثل : ((انتفضَ ريشهُ . يشبهونه بالطائر يبتلّ من مطرٍ أو صقيعٍ ثم يتشمّسُ ، فيتخلّصُ من البلل ، فينتفضُ ريشَه))[٦٧] يتجلى في هذا النموذج توجيه قراءة الصورة في هذا المثل فيما ألحقه به الخوارزمي من بسط منطقي و تسلسل عقلاني لمعماره التصويري و تراتبيته التشبيهية تحديدا ، لأنه يعي أن الصورة هي ((تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة ، عنصر ظاهري و آخر باطني))[٦٨]، فقد تضمن تأصيلا بلاغيا و كشفا للجذر التصويري الذي استمد منه المثل مادته الأولية متمثلا بقوله (يشبهونه) ، و بدأب توجيهي عمل الخوارزمي على فك شفرته الإيحائية و التخييلية سالكا بذلك سبل الشرح و التفسير المعهودة التي تجلو عن النص أغشية الإيهام و التعمية . ومن أمثلة ذلك أيضا قوله : ((هو يُحدثك من الخُفّ إلى المِقنَعة . كأنك قلت من الرأس إلى القدم . يُكنى بهما عن الظاهر و الباطن))[٦٩] نرى أن الخوارزمي هنا يؤثث دلالات هذا المثل بعتبة قراءته البلاغية التي تستند إلى تركيب تقريب المعنى متمثلة بقوله (كأنك) وقوله (يُكنى) ، وكلاهما مهد لثنائية ضدية استهدفت البوح بالمحتجب البلاغي الذي تكسوه صياغة التكثيف لمعنى المثل . وليس ببعيد عن هذا عتبة توجيه قراءة المثل و شرح ألفاظه من خلال منهجية بيان معاني المفردات عبر الاستعانة بذكر ضدها ، بوصفه مظهرا بارزا من مظاهر العتبات النصية و موجهات القراءة في كتاب الأمثال المولّدة ، حيث يتعدد المعنى بتعدد التلازم و الاقتران فيما بين الثنائيات الضدية التي يقيمها الخوارزمي بين معنى المثل الذي يستهدف شرحه و بين اللفظة المضادة التي يستحضرها لتتوحد معها و تتكامل في سياق تعدد المعنى و بنائية الترابط و الاقتران في استجلابها للأضداد ، أو كما قيل قديما : بضدها تتميز الأشياءُ . و من أمثلة ذلك تعليقه على المثل : ((أوّلُ الحجامة تخديرُ القفا . أي : رُبّ صغيرٍ يجرُّ كبيرا))[٧٠] ، ومثله أيضا تعليقه : ((قد يخرج من الصدفة غير الدرة . أي : الكريمُ يلدُ اللئيمَ))[٧١].

خامساً: عتبة التوجيه النفسي و الأخلاقي لقراءة المثل

تتجلى في المثل : ((سماعُ الغناءِ بِرسَامٌ حادٌ . لأن المرء يسمع فيطربُ فيسمحُ، ويسمَحُ فيفتقر، و يفتقرُ فَيغتمُّ ، و يغتمُّ فيموت))[٧٢]، عتبةٌ تُقيم حالة من الربط النفسي بين شعوري الطرب و الغم التي استخلصها الخوارزمي من الدعوة إلى نبذ الاستماع إلى الغناء، والتي أقامها بين سلوك الامعان في تلبية الرغبة النفسية و إشباعها المتمثل باستغراق المرء في التلذذ بالاستماع إلى الغناء حينما يطرب و تطيب نفسه ، فيأخذه الانقياد اللاشعوري بتأثير هذا الإدمان إلى تبديد ماله ، و يبلغ به الأمر حد الافلاس ، فتتسرب عواقب الكمد من هذه المآلات إلى كوامن النفس ، فتنال من استواء سلامتها ، و تفضي إلى عطب الجسد الذي يحتويها و اعتلاله الذي عبّر عنه المثل بالسقم (بِرسامٌ حاد) الذي كان يسود قديما، وهو مرض يصيب الجهاز التنفسي . و من أمثلة التوجيه الأخلاقي لقراءة المثل ، قوله : ((الدابةُ تُساوي مِقرَعَة . أي عناءٌ يسيرٌ يجلبُ غنىً كثيراً حقيقٌ ألا يُكسل عنه))[٧٣] . حيث حرص الخوارزمي في تعليقه على هذا المثل على تقييد تداولية الوعي بدلالاته الحكمية و محمولاته الأخلاقية في تركيب لغوي قائم على ثنائية الربط السببي و التحضيض بين أداة الشرح و التفسير (أي) ، و (ألا) المفعمة بالترغيب الأخلاقي و الحث القيمي .

سادساً: عتبة توجيه قراءة المثل بالتأصيل و الشاهد .

يُعدّ المثل تجسيدا حيا لظاهرة إبداعية إنسانية هي ظاهرة الأدب ، التي توصف بانفتاحها و تمردها على حدود التماهي ، و عوائق التداخل بين الأنواع الأدبية و صنوف المعرفة التي تتشكل منها ، و لأن النص يوصف بأنه آلة كسولة ، فإن مقاربته تقتضي بسطا قوليا لإمداد القارئ بخبرات نصية عيانية تُستجلب لتؤدي وظيفة توجيهية قوامها الاستدلال و البرهنة على مدى التطابق بين مقامات الأمثال و الشواهد الشارحة و حكاية المثل أو مناسبة مضربه أو حدث انبثاقه التاريخي ، ولهذا استأثرت هذه العتبة بعناية كبيرة أبداها الخوارزمي إزاءها ، فقد سخّر للاستدلال على معنى المثل منتهى مؤونته الثقافية و رصيده المعرفي لأجل معرفة مقاصد الأمثال ، و توجيه قراءتها نحو اكتشاف المرجعيات الفكرية التي تستمد منها الأمثال مادتها المعرفية . وقد حرص أبو بكر الخوارزمي في هذه العتبة على تزجية قراءة المثل و تعضيدها بإمعان النظر في أصالة نشأته و عراقة رسوخه في الذاكرة الأدبية و الذائقة الثقافية ، فضلا عن الأخذ بيد المتلقي نحو التحقق من صدق انتسابه إلى الحادثة أو

الموقف الذي يثبت مرجعيته التداولية ، وهو بعتبته هذه يفاقم طاقة البرهنة المكنونة في موجبات التمثّل بالمثل و يغذي قوة استحضاره الحجاجية المضمرة في بنائية المثل التي تكسوها بلاغة الإيجاز والتكثيف . ومن نماذج عتبة التأصيل للمثل قول الخوارزمي معلقا على المثل : ((فأمّا قولهم : علمٌ في رأسه نارٌ. فقديمٌ . قالت الخنساء في أخيها ترثيه : **و إنَّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ بهِ كأنّهُ علمٌ في رأسهِ نار** و لكن المولّدين قد أُولعوا به الآن))[٧٤]. و مثله أيضا توجيهه لقراءة المثل بالتعليق الآتي : ((ما تركَ الأولُ للآخرِ شيئا . وهذا مثلٌ قديمٌ فيهم . قال أبو تمام يصفُ قصائده :

يقولُ من تقرعُ أسماعهُ كم تركَ الأولُ للآخرِ))[٧٥].

فالخوارزمي يصدع بأصالة و عراقة المثلين السابقين ، من خلال التنبيه على رسوخ قدمهما في انطولوجيا الشعرية القديمة و الذاكرة الأدبية التي جادت عليه ببيتي الخنساء وأبي تمام ، بوصفهما نصين غائبين ((يستحضرها القارئ في أثناء القراءة لفك طلاسم النص المقروء أو القابل للقراءة . هي تدريباته السابقة على مساءلة العلامات وجرها إلى ادراكاته))[٧٦]، و لذلك عمد الخوارزمي إلى وسم كل منهما بلفظة (قديم) التي أفادت التوثيق لزمانية التأصيل ، التي تضافرت مع الاحالة الشعرية على العصر الأدبي لكل منهما لتجلو موارد الشبهة و الظن بأن المثلين مولّدين . ومن نماذج توجيه القراءة بهذه العتبة ، قوله بعد ذكر المثل : ((كلُّ شيءٍ وثمنهُ . يُحكى أن أول من قال هذا زياد الأعجم الشاعر ، وذلك أنه ورد العراق فحمل إليه يحيى بن معبد مائة دينار، فقال فيه :

إذا قيل من للبأس والجود والندى فنادِ بأعلى الصوت يحيى بن معبدِ

فبعث إليه يحيى : إن رأيت أن تزيدنا ، فقال : كلُّ شيءٍ وثمنه))[٧٧] ، حيث تجلى تعليق الخوارزمي في هيئة قطعة نثرية فنية انطوت على مقتضيات السرد الحكائي ، فأفاضت على معنى المثل بلازمة دلالية و سياقية ، تشي بسلطة قرائية توجيهية وظيفتها رفد المثل بالمقام الأنجع للتمثّل به ، وذلك بعد الإدلاء بحكاية تأسيسه التليدة و المضرب الأول لحدث انبثاقه السردي .

الخاتمة:

وفي خاتمة هذه الدراسة ، وبعد جهد بحثي متواصل في مقاربة فضاء العتبات النصية في كتاب الأمثال المولّدة لأبي بكر الخوارزمي، ورصد أدوارها في توجيه القراءة ، وكشف أنواعها و وظيفة كلّ منها ، فقد خلُصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها بالآتي :

- يزخر كتاب الأمثال المولدة لأبي بمتن نصي متدفق و متنوع من العتبات المصاحبة و اللواحق النصية التي تنماز بصلتها الوطيدة بأفق انتظار المتلقي ، وتأثيرها الفاعل في توجيه قراءته و تسديد مسالك التغلغل و النفاذ إلى إدراك أهمية هذا النوع النثري أي الأمثال الأدبية ، والوعي بالتحولات الفنية و الموضوعية التي طرأت عليها.
- تخلل الخطاب العتباتي في كتاب الأمثال المولدة أنماطا نصية متسلسلة و متعاقبة امتثلت لقصدية توليدية من عتبات موازية استهلها الخوارزمي بمقدمة اغتنت بحبكة عتباتية مذهلة ، امتزج فيها حديث المؤلف عن نفسه من خلال إيتوس خطابي مذهل انطوى على قدر كبير من التأدّب في استدراج المتلقي عبر استثارة ذخيرته الثقافية و لا سيما توظيف ثيمة الاحتذاء بوصفها عتبة مركزية في التلقي النقدي الذي شهدته أزمنة التدوين والاحتجاج بالشعر .
- استأثرت مقدمة الخوارزمي بعناية واسعة وكبيرة أولاها المؤلف لها، فتجلت في مطلع الكتاب كمهيمنة اسلوبية أُنيط بها تبليغ جملة من الرسائل تمثلت بعتبات أربع هي عتبة التعريف بالأنا والآخر ، وعتبة التعريف بالمقام والكتاب ، وعتبة التقعيد للتأليف، عنبة الخاتمة.
- تلت عتبات المقدمة مجموعة من العتبات تصدرتها عتبات الاعتناء بالمفردة المثلية، التي تشكل محور التلقي للنص المَثَلي ، حيث عكف الخوارزمي على توجيه قراءة المثل من خلال التعمق في تبيين معنى اللفظة التي يلفها الإبهام و الغموض، واستظهار معناها المعجمي ، فضلا عن معناها التداولي ، كما أنه لم يتردد في تطويقها بالدلالات الناتجة من السياق التركيبي لوضعها الصوفي و النحوي أو البلاغي .
- لم يتهاون الخوارزمي في رفد توجيهه لقراءة المثل بعتبة تُقيم حالة من الربط النفسي و الشعوري و التواشج القيمي و الأخلاقي مع الرسالة التي تقتضي التمثّل به .

الهوامش

(١) ينظر: الأمثال المولدة : ٤٤

(٢) ينظر : مقدمة كتاب الأمثال المولدة : ٧-٤٤

(٣) ينظر : لسان العرب مادة مثل ، معجم مقاييس اللغة : ٢٩٦/٥.

(٤) ينظر: الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية :١١

(٥) أسرار البلاغة : ٩٦

(٦) م . ن : ١٠١

(٧) الأمثال العربية :١١، و ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي :٢١

(٨) ينظر : الصورة الفنية في المثل القرآني : ٥٠-٥١

(٩) مجمع الأمثال : ٦/١

(١٠) م . ن :٦/١.

(١١) الكليات : ٣٤٣

(١٢) ينظر: الشواهد والاستشهاد في النحو: ٣٠-٣١

(١٣) ينظر: الأمثال في كتاب سيبويه عرض ومناقشة و تقويم : العددان : ٨٦،٨٧ ، ٣٠٨ -٣٠٩، والأمثال العربية القديمة دراسة نحوية ، : ٤٢٤-٤٢٥.

(١٤) ينظر: كتاب العين الخليل بن أحمد الفراهيدي : المجلد،٣: ٧٩، مادة عتب.

(١٥) ينظر: عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص : ٣٤، ٤٩.

(١٦) ينظر : عتبات النص الأدبي بحث نظري ، المجلد: ١٢، العدد: ٤٦: ٢٣، ٢٨.

(١٧) ينظر: مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم : ٢٤و عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ، : ٢٩، ٣٢.

(١٨) ينظر : عتبات جيرار جينيت : ٢٧

(١٩) ينظر : القصيدة السير ذاتية بنية النص و تشكيل الخطاب: ٩٧.

(٢٠) ينظر : المعجم الوسيط : ج٢، ٧١٩-٧٢٠.

(٢١) عتبات الكتابة في الرواية العربية ، عبد المالك أشبهون : ٦٠-٦١

(٢٢) ينظر : عتبات النص البنية والدلالة : ٤٠ و هوية العلامات :٤٩.

(٢٣) ينظر : مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم : ٥٣.

(٢٤) ينظر: نظرية الكتابة في النقد العربي القديم : ١١٩.

(٢٥) صورة الذات والآخر في السيرة الذاتية عبد الرحمن بدوي نموذجا ، العدد ٣٧ : ٢٥٠.

(٢٦) الأمثال المولدة : ٦٥-٦٦.

(٢٧) لغة التخاطب الحجاجي دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم : ٢٠٠.

(٢٨) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب : ١٧٦/٣.

(٢٩) ينظر: البيان والتبيين: ج١ : ١٣٨، و كتاب الصناعتين : ٣٣.

(٣٠) اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٧٢.

(٣١) الأمثال المولدة : ٦٦.

(٣٢) م . ن : ٦٦.

(٣٣) القراءة كسياق له معنى مقاربات : ٢٠.

(٣٤) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٦.

(٣٥) ينظر : عتبات جيرار جينيت : ٥٦-٥٧ ، و نظرية التلقي روبرت هولب : ١٠٣.

(٣٦) الأمثال المولدة : ٦٦-٦٨.

(٣٧) ينظر : فاعلية الخيال الأدبي محاولة في بلاغية المعرفة من الأسطورة حتى العلم الوصفي: ٦٨.

(٣٨) مشروعية السرد في بيان بيدبا : ٢٠١.

(٣٩) الأمثال المولدة : ٦٨-٨٣.

(٤٠) التأصيل في التراث النحوي في ضوء مناهج البحث الحديث : ٤٠، و ينظر : دور الحديث النبوي الشريف في التقعيد النحوي: ٣٠٠، و لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية : ١٠١.

(٤١) نظرات في التراث اللغوي العربي :١٣١.

(٤٢) ينظر : اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم : ١٥٥.

(٤٣) ينظر : لغات البشر: ٢٠.

(٤٤) ينظر : م . ن : ٨٢.

(٤٥) ينظر: المستعمل و المهمل في اللغة العربية ، المجلد : ١٧ ، العدد: ٤ : ٤٩١-٤٩٢.

(٤٦) الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية نقدية : ٤.

(٤٧) ينظر : الأمثال المولدة : ٦٩، ٧٣-٨٠، ٨٢-٨٣، ٨٤.

(٤٨) مقدمة ابن خلدون٣ : /٥٤٨.

(٤٩) أصول التأليف في مصادر التراث النحوي العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري : ١٦.

(٥٠) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٢٠٧.

(٥١) بلاغة الاقناع دراسة نظرية وتطبيقية : ١٠٣.

(٥٢) النهاية والخاتمة في القصة القصيرة النمل والقات نموذجا ، المجلد : ١٧ ، العدد : ٢: ١٠١.

(٥٣) الأمثال المولدة: ٨٦-٨٧.

(٥٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٤٧٠.

(٥٥) وحدة النص وتعدد القراءات التأويلية في النقد العربي المعاصر : ٧٩.

(٥٦) النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح : ١٢.

(٥٧) الأمثال المولدة : ٢٩٢.

(٥٨) المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الإسلام : ١٦٦-١٦٩.

(٥٩) مظاهر الدخيل في اللغة العربية دراسة في الأساليب المعاصرة : ٢٨.

(٦٠) الأمثال المولدة : ١٣٧.

(٦١) م . ن : ٢٦٩.

(٦٢) م . ن : ٢٠٨.

(٦٣) ينظر : م . ن : ٢٠٤، ٢٠٨،٣٦٣.

(٦٤) م . ن : ٢٩٢.

(٦٥) ينظر : صيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم دراسة نحوية : ٢٥٩-٢٦١.

(٦٦) الأمثال المولدة : ٣٠١-٣٠٢.

(٦٧) م . ن : ٢١٨.

(٦٨) النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم : ١٢٠.

(٦٩) الأمثال المولدة : ٢٢١.

(٧٠) م . ن : ١٠٠

(٧١) م . ن : ١٠٠، وينظر : ٩٦، ٩٩.

(٧٢) م . ن : ٩٥.

(٧٣) م . ن : ٩٩.

(٧٤) م . ن : ٣٠٦

(٧٥) م . ن : ٣٤٩

(٧٦) ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقاربة تأويلية : ١٨٦.

(٧٧) الأمثال المولدة : ٩١-٩٢، وينظر : ٢٠١-٢٠٢، ٢٢٤، ٢٨٩.

مصادر البحث و مراجعه

القرآن الكريم

١. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٣م

٢. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) ، تحقيق :هـ.ريتر، دار الكتاب للتراث العربي، القاهرة ، ١٩٥٣م.

٣. الأمثال المولدة ، أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت٣٨٣هـ) ، تحقيق محمد حسين الأعرجي ، ط٢، المجمع الثقافي أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٣م.

٤. الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، ط١، دار الفكر، دمشق ، ١٩٨٨

٥. بلاغة الاقناع دراسة نظرية وتطبيقية ، د. عبد العالي قادا، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٦

٦. بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٢م

٧. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٨. الشواهد والاستشهاد في النحو : عبد الجبار علوان النايلة ، ط١، مطبعة الزهراء، بغداد ، ١٩٧٦م.

٩. الصورة الفنية في القرآني ، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨١م .

١٠. ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقاربة تأويلية ، بختي بن عودة ، قدم له وراجعه، عبد القادر فيدوخ، دار صفحات للنشر والتوزيع ، دمشق، ٢٠١٣م

١١. عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص ، عبد الحق بلعابد ، تقديم: د. سعيد يقطين، ط١ الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ٢٠٠٨

١٢. عتبات النص البنية والدلالة ، عبد الفتاح الحجمري، منشورات الرابطة ، الدار البيضاء، ١٩٩٦م

١٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ،ط٣، مطبعة السعادة ، ١٩٦٣م

١٤. فاعلية الخيال الأدبي محاولة في بلاغية المعرفة من الأسطورة حتى العلم الوصفي ، سعيد الغانمي ، ط١، منشورات الجمل ، بيروت–لبنان، ٢٠١٥

١٥. الفن ومذاهبه في النثر العربي ، د. شوقي ضيف ، ط١٠، دار المعارف ، القاهرة .

١٦. القراءة كسياق له معنى مقاربات ، علي الشدوي، ط١ ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م

١٧. القصيدة السير ذاتية بنية النص و تشكيل الخطاب ، خليل شكري هياس ، ط١، عالم الكتب ، الأردن ٢٠١٠م

١٨. كتاب الصناعتين ،أبو هلال العسكري، تحقيق محمد علي البجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط١،دار الفكر العربي

١٩. كتاب العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ٢٠٠٣

٢٠. الكليات معجم في المصطلحات و الفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ) ، قابله على نسخة خطية واعدة للطبع و وضع فهارسه د. عدنان درويش و محمد المصري ، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ١٩٩٨م.

٢١. لسان العرب ، ابن منظور(ت٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي ، ط٣، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي ، ١٣٠٠هـ.

٢٢. لغات البشر ، ماريوباي، ترجمة صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية ، القاهرة

٢٣. لغة التخاطب الحجاجي دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم ، د. مصطفى العطار ، ط١، كنوز المعرفة للنشر و التوزيع ، عمان ، ٢٠١٧م

٢٤. لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية ، محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٦م

٢٥. اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٩م

٢٦. اللغة العربية معناها ومبناها ، تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤

٢٧. مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت٥١٨هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة ، بيروت .

٢٨. مدخل إلى عتبات النص مدخل إلى عتبات النص دراسة في مقدمات النقد العربي القديم ، بلال عبد الرزاق ، تقديم: ادريس ناقوري ، ط١، دار أفريقيا الشرق ، المغرب ، ٢٠٠٠م

٢٩. مشروعية السرد في بيان بيدبا ، د. يوسف اسماعيل ، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون ، عمان – الأردن ، ٢٠١٣م

٣٠. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ١٩٦٩م.

٣١. المعجم الوسيط ، د. ابراهيم أنيس ، د. عبد الحليم منتصر، ط٢، دار المعارف ، مصر، ١٩٧٣

٣٢. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تحقيق وتعليق وشرح د. علي عبد الواحد وافي، ط٣، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة .

٣٣. المولد في العربية دراسة في نمو اللغة العربية وتطورها بعد الأسلام ، د.حلمي خليل ، ط٢، دار النهضة العربية ، بيروت–لبنان،١٩٨٥م

٣٤. النسق الثقافي قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، د.يوسف عليمات، ط١، عالم الكتب الحديثة، أربد ، ٢٠٠٩م

٣٥. نظرات في التراث اللغوي العربي ، عبد القادر المهيري ، ط١، دار الغرب الاسلامي، بيروت ،١٩٩٣م

٣٦. نظرية التلقي مقدمة نقدية ، روبرت هولب ، ترجمة د. عز الدين اسماعيل ،ط١، الناشر المكتبة الأكاديمية ، ٢٠٠٠م.

٣٧. نظرية الكتابة في النقد العربي القديم، د. حبيب مونسي ، ط١، دار الغرب للنشر ، ٢٠٠١م

٣٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، الشيخ أحمد بن محمد المقرب التلمساني، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٣٩. هوية العلامات ، شعيب حليفي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٥م.

٤٠. وحدة النص وتعدد القراءات التأويلية في النقد العربي المعاصر ، د. ايمان عيسى الناصر ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت –لبنان ، ٢٠١١م.

٤١. **الرسائل الجامعية و الأطاريح**

٤٢. الاتجاه التجديدي وأثره في نهضة الشعر في العصر العباسي الأول دراسة تحليلية نقدية ، احمد الطيب خولجي عباس، اطروحة دكتوراه ، جامعة امدرمان الاسلامية ، ٢٠٠٧م

٤٣. أصول التأليف في مصادر التراث النحوي العربي من القرن الثاني الهجري إلى القرن العاشر الهجري ، رزوقي حمعة ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، الجزائر ، ٢٠١٧–٢٠١٨م.

٤٤. التأصيل في التراث النحوي في ضوء مناهج البحث الحديث ، عصام علي الدردير ، اطروحة دكتوراه كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م

٤٥. دور الحديث النبوي الشريف في التقعيد النحوي ، محمد أحمد العمروسي، اطروحة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .

٤٦. عتبات الكتابة في الرواية العربية ، عبد المالك أشبهون قراءة حوارية ، شهيرة قلات ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة العربي بن مهيدي ، الجزائر ، ٢٠٢٠–٢٠٢١م.

٤٧. مظاهر الدخيل في اللغة العربية دراسة في الأساليب المعاصرة ، سليمان حشاني، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ٢٠١٢-٢٠١٣

٤٨. النص الأدبي من النسق المغلق إلى النسق المفتوح ، اطروحة دكتوراه ، قارة مصطفى نور الدين ، جامعة وهران ، كلية الآداب و اللغات والفنون، ٢٠٠٩-٢٠١٠

٤٩. الدوريات

٥٠. الأمثال في كتاب سيبويه عرض ومناقشة وتقويم ، شوقي المعري، مجلة التراث العربي، دمشق، العددان : ٨٦-٨٧ ، ٢٠٢٢م

٥١. صورة الذات والآخر في السيرة الذاتية عبد الرحمن بدوي نموذجا، د. وجيه يعقوب السيد ، مجلة كلية الآداب جامعة بنها ، العدد ٣٧ ، ٢٠١٤م

٥٢. صيغة أفعل التفضيل في القرآن الكريم دراسة نحوية ، د. أحمد ابراهيم الجدبة ، أ. بسام حسن مهرة ، مجلة الجامعة الاسلامية للبحوث الانسانية ، المجلد٢٠، العدد٢، ٢٠١٢م.

٥٣. عتبات النص الأدبي بحث نظري ، حميد لحمداني ، مجلة علامات في النقد ، النادي الأدبي بجدة ،المجلد١٢، العدد ٤٦، ١٩٩٣م

٥٤. المستعمل و المهمل في اللغة العربية ، محمد صالح أمين آغا ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، المجلد ١٧، العدد ٤، نيسان ٢٠١٠م

٥٥. النهاية والخاتمة في القصة القصيرة النمل والقات نموذجا ، د. سماح نعيم صفوري خوري، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد ١٧، العدد ٢، ٢٠٢١م.